﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [القدر: 1 - 3]

❁ مُناسبةُ مَطْلعِ السّورةِ لما قبلَها:

المأمورُ بقراءتِهِ عظيمٌ زمنَ نُزولِهِ

لمّا ذَكرَ تعالى في السّورةِ السّابقة الأمرَ بالقراءةِ باسمِ الرَّبِّ الخالقِ للإنسان، ودَلَّل بالبراهين على أنَّ الله سيُعلِّمُه ذلك المقروءَ، وحاجَ الطّاغيةَ في تكذيبِهِ بما جاء به من المَقروءِ؛ ناسبَ أنْ يُبيّنَ عَقيبَهُ عظمةَ ذلك المأمورِ بقراءتِهِ وتعليمِهِ للإنسان[1]، بتعظيمِ زمنِ نُزوله؛ إذِ الأمرُ العظيم يكونُ مصاحبًا للوقتِ الفَضيل.

وذهبَ بعضُهُم إلى أنَّ هذه السّورةَ بمثابةِ التّعليلِ للأمرِ بالقراءةِ في (سورة العلَق)؛ فكأنَّه قيل: "اقرأ القرآنَ؛ لأنَّ قدرَهُ عظيمٌ، وشأنَهُ فخيمٌ، لذلك ذُكرتْ هذه عَقِبَ تلك"[2]. كما يحتملُ وجهُ المناسبةِ أنْ يكونَ جوابًا عن وقتِ نزولِ أوّلِ سورةِ (العلَق).

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَيْلَةِ﴾: (اللّيلُ) معروفٌ، والواحدةُ ليلةٌ، وجمعُهُ اللَّيالي بزيادةِ (الياء) على غيرِ قياسٍ، واللّيلةُ مِن غُروبِ الشَّمس إلى طُلوعِ الفَجْر، وقياسُ جَمعِها (ليلاتٌ)، وعامَلْتُهُ مُلايَلةً، أي: ليلةً وليلةً، مثلُ: (مُشاهَرة)، وليلٌ أَلْيَلُ: شديدُ الظُّلمة[3]، واللّيلُ: ما يُقابِلُ النَّهار؛ فإنَّ النّهارَ هو الزَّمانُ المُمتدُّ من أوَّلِ طُلوعِ الشّمس إلى غُروبها، ويُشتقُّ من الكلمةِ مشتقّاتٌ بالانتزاع، فيقالُ: ليلٌ لائِلٌ وأليلٌ، فكما أنّ النَّهارَ يُلاحَظُ في مواردِ إطلاقِهِ خُصوصيّةُ وجودِ

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 178.
(2) مجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 10/ 1973.
(3) الفيوميّ، المصباح المنير: (ليل).

الضّياء، كذلك يُلاحَظُ في إطلاقاتِ (اللَّيل) مفهومُ الظُّلمة[1]. والمرادُ بها في الآيةِ: الزّمنُ الممتدُّ من غُروبِ الشَّمس إلى طلوعِ الفجرِ الصّادق.

2) ﴿ٱلْقَدْرِ﴾: (قدر) أصلٌ صحيحٌ يدلّ على مَبلَغِ الشّيءِ وكُنهِه ونِهايتِه، والقَدَرُ: قضاءُ اللّه تعالى الأشياءَ على مَبالغها ونِهاياتها الّتي أرادَها لها، وهو القَدْرُ أيضًا، ومنه: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطّلاق: 7] فمَعناه قُتِّرَ، وقياسُهُ: أنّه أُعطيَ ذلك بقَدْرٍ يسيرٍ[2]، وقَدَرْتُ الشّيءَ قَدْرًا من بابَي (ضرَبَ وقتَلَ)، وقَدّرتُهُ تقديرًا بمعنًى، والاسمُ القَدَرُ، ويقالُ: هذا قَدْرُ هذا، أي: مُماثِلُه، وما لهُ عندي قَدْرٌ، أي: حُرْمَةٌ ووَقارٌ، وأخَذَ بقَدْرِ حَقِّه، أي: بمِقدارِهِ وهو ما يُساويه. وإذا وافقَ الشّيءُ الشّيءَ، قيل: جاءَ على قَدَر، ورجلٌ ذو قُدْرةٍ ومَقْدِرة، أي: يَسارٍ[3]. والمُرادُ به في الآية: العظَمةُ والحُرْمةُ والمَكانةُ العَظيمة، ورُكِّبَ معَ اللَّيلة علَمًا إضافيًّا، فقيل: ليلةُ القَدْرِ.

3) ﴿شَهْرٍ﴾: (شهر) أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على وضوحٍ في الأمرِ وإضاءَةٍ، من ذلك الشّهرُ، وهو في كلامِ العرَبِ الهلالُ، ثمّ سُمّيَ كلُّ ثلاثينَ يومًا باسمِ الهِلال، فقيلَ: شهرٌ، والشُّهرة: وُضوحُ الأَمر، وشَهَرَ سيفَهُ: إذا انتضاهُ، وقد شُهِرَ فلانٌ في النّاس بكذا فهو مَشهورٌ، وقد شَهَروهُ، وأشهَرْنا بالمكانِ: إذا أقمنا بهِ شهْرًا[4]، وقيلَ: مُعرّبٌ، وقيلَ: عربيّ مأخوذٌ منَ الشُّهْرة، وهي الانتشارُ، وقيل: الشّهر الهِلال، سُمّي به لشُهْرتِه ووضوحِه[5]، وقالَ الزّجّاج: "إنّما سُمّيَ الشّهر شَهْرًا؛ لشُهرتِهِ وبيانِهِ"[6]. والمرادُ به في الآيةِ المُدّةُ المعلومةُ من الشُّهورِ القمريَّة.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يُخبر اللّه تعالى بأنَّه عظّمَ القرآنَ الكريمَ بإسنادِ إنزالِهِ في ليلةٍ مُباركةٍ، وهي ليلةُ القَدْرِ الَّتي جعلَها اللّه من ليالي شَهْرِ رمضانَ، ولن تَبلُغَ دِرايةُ الإنسانِ غايةَ فضلِها؛ لأنَّ

(1) المصطفويّ، التّحقيق في كلمات القرآن: 10/ 257.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قدر).
(3) الفيوميّ، المصباح المنير: (قدر).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (شهر).
(5) الفيوميّ، المصباح المنير: (شهر).
(6) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (شهر).

عُلوَّها خارجٌ عن دائرةِ دِرايةِ الخَلْق، لا يَعْلَمُ ذلك، ولا يُعْلِمُ به إلّا عَلاَّمُ الغيوب، فهي خيرٌ من ألفِ شهْر ليسَ فيها ليلةُ القَدْرِ.

الحدَثُ العَظيم في الّليلِ المُبارَك البَهيم

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ (إنَّ) والغرَضُ مِنها:

عبّرَ النّظمُ الكريم في افتتاحِ السّورة بـ (إنَّ) في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾؛ للدّلالة على التّوكيدِ للحُكم، والتّثبيتِ لهُ في ذِهنِ السّامع، فإنَّ المؤمنَ يتحقّقُ له بهذا التّوكيدِ التّثبّتُ، وتنتفي عنه الشّكوك، وإنَّ المُعاندَ قد يَفيقُ من غفلتِهِ[1]، كذلك التّنويه بعَظَمَةِ القرآن الّذي اشتمل على هذه السّورة[2]، والرّدُّ على الشّاكّين أوِ المُنكرينَ لإنزالِ اللّه تعالى له، وغيرِ ذلك منَ الاتّهامات الباطلة.

مِـن مَـحـاسِـنِ الـكـلام تـوكـيـدُ وقوعِ الأحكام

سرُّ التّعبيرِ عن المُسنَدِ إليهِ بضَميرِ الجَمع:

عبّرَ النّظمُ الكريم عن المُسنَدِ إليهِ بضميرِ الجَمع (نا) في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾؛ فإذا كانت (نا) مستعملةً في المُتكلِّم المُعظِّم لنفسِهِ مجازًا، دلَّت على تعظيمِ المُنْزِل، ومِن ثَمَّ تعظيمُ المُنْزَلِ والمُنْزَل به والمُنْزَل عليه[3]، وأمّا لو كانتْ (نا) للمُتكلِّم ومعَه غيرُهُ على الحقيقةِ، فإنَّ اللّه تعالى أنزلَه أمرًا، والملائكةُ أنزلوه مأمورينَ، أوْ أنَّ جبريلَ ﷺ أنزلَهُ على قلبِ نبيِّه ﷺ. والضَّمير (نا) راجِعٌ على التّوجيهِ الأوّل إلى اللّه تعالى بذاتِهِ الكاملة وكمالِ أوصافِهِ، ممّا يفيد تعليلًا لعظَمةِ ذلك الإنزالِ.

تـعـظـيـمُ الـذّاتِ المُنْزِلة يَستلزِمُ رِفعةَ القُرآن في المَنزِلَة

نُكْتَةُ تقديمِ المُسندِ إليه في ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾:

قَدَّمَ النَّظمُ الكريم المُسندَ إليهِ على المُسندِ الفعليِّ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾؛ "دلالةً على توكيدِ الحُكم وتقويته، مع إرادة قَصْرِ

اخـتـصـاصُ الإنـزال رَدٌّ عـلى المُتـقـوِّلـينَ بالأقوال

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 198.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 456.
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 198.

الإنزالِ للقرآن الكريم على الذّاتِ المُنزلةِ له"[1]. قال ابنُ عاشور: "ويُفيدُ هَذا التَّقْديمُ قَصْرًا، وهوَ قَصْرُ قَلْبٍ؛ لِلرَّدِّ عَلَى المُشْرِكينَ الَّذي نَفَوْا أنْ يَكونَ القُرْآنُ مُنَزَّلًا مِنَ اللّه تعالى"[2].

دلالةُ فعلِ (الإنزالِ) مادّةً وصيغةً:

القرآنُ النّازلُ منَ العُلوّ للأخذِ بيدِ الإنسانِ إلى الرُّقيّ

عبَّر النّظمُ الكريم بفعلِ (الإنزال) ماضيًا ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾؛ للدّلالة على تَحقُّقِ الإنزال وصُدورِهِ على سبيلِ القَطْعِ لا الفرضِ والاحتمال، كما تُفيدُ صيغةُ (أفعَلَ) النّزولَ الدَّفعيَّ لا التّدريجيَّ، وفي ذلك ترشيحٌ لكونِ المُرادِ بـ(الإنزال) من اللَّوحِ المحفوظ إلى بيتِ العزّة في السَّماء الدُّنيا؛ لأنَّ النّزولَ بعدَ ذلك تدريجيٌّ، وللدّلالة بمادّتِهِ على إهباطٍ من مكانٍ عالٍ إلى مكانٍ أقلَّ عُلوًّا منها، قال ابن عاشور: "وعلى كِلا الوَجْهَيْنِ فالتَّعْبيرُ بالمُضيِّ في فِعْلِ ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾ لا مَجازَ فيه"[3]؛ أي: سواءٌ كانَ الإنزالُ بمَعنى: (ابتدأنا إنزالَهُ)، أوْ باعتبارِ بعضِ القرآنِ النّازل، وهي الآياتُ الخمسُ الأوَلُ من سورةِ العلَق.

دلالةُ الاستعارةِ المكنيَّة في ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾:

إنـــزالُ الـقـرآنِ كالأجسامِ لكونِهِ ثقيلًا بينَ الكَلام

عبّرَ النّظمُ القرآنيّ بأسلوبِ الاستعارةِ المكنيّة في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَاهُ﴾؛ إذ شبَّه القرآنَ المُنزل والكلامَ المُرتّلَ الذي ليس بجسمٍ في إنزالِهِ من اللّوح المَحفوظ إلى بيتِ العِزّة بجسمٍ وجِرمٍ يتحرّك من الأعلى إلى الأسفل، ثمَّ حذف المشبّه به وأبقَى من خواصِّهِ ولوازمِهِ الفعلَ (أنزل)، وأسندَهُ إليه تخييلًا، والغرضُ من الاستعارة إضفاءُ صفةِ المَحسوسات على المعنويّات، وبيانُ أنَّ ذلك الشّيءَ النّازلَ ثقيلٌ وعظيمٌ يَنبغي حَمْلُهُ والعملُ به بكلِّ اهتمامٍ واعتناءٍ؛ لأنّه قولٌ ثقيلٌ، قال الطّيبيُّ: "كيفَ يستقيمُ إنزالُهُ من اللَّوحِ إلى السَّماء؛ لأنَّ ذلك

(1) الطّيبيّ، حاشية على الكشّاف: 16/ 522.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 456، ويُنظر مناقشة القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 366.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 457.

من غيرِ واسِطة؟ قلت: الإنزالُ حينَئذٍ مُستعارٌ للمَعاني من الأجرام؛ شُبِّه نقلُ القرآن من اللَّوح إلى السَّماء وثبوتُه فيها بنزولِ جسمٍ من عُلوٍّ إلى أسفلَ"[1].

دلالةُ الاستعارةِ التصريحيَّة في ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾:

تشبيهُ الإيحاءِ بالإنزال لما فيهِ مِن عَظيمِ المَقال

استعار النّظمُ القرآنيّ فعلَ (الإنزال) في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ للإيحاء؛ إذ شبّه الإيحاءَ بالإنزال بجامع الإعلام في كلٍّ، ثمّ حَذفَ المشبَّه وأبقى المشبَّه به، ثمّ اشتقَّ من الإنزال الفعلَ (أنزل) على سبيل الاستعارة التّبعيّة، قال الهرريّ: "لأنَّ الإنزال وصفٌ للأجسام، والقرآنُ عَرَضٌ لا جِسمٌ، فكيفَ يوصَفُ بالإنزالِ"[2]، والغرضُ من الاستعارةِ بيانُ وضوحِ الإيحاء معَ تأشيرِ عظمتِه، حتّى إنَّه صار كالإنزالِ للنِّعَم الجسميَّة كالرِّزق، فينبغي أنْ يُهتمَّ به ويُحتفَلَ.

دلالةُ المَجازِ المُرسَلِ في ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾:

الكلامُ العَظيم يَحمِلُهُ المَلَكُ الأمين

في قولِه تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ جاء نظمُ البيانِ القرانيُّ على أسلوب المَجاز المُرسَل؛ وذلك أنَّ القرآن الكريم في إنزالِه من السَّماء الدُّنيا إلى النّبيِّ ﷺ عن طريقِ الملَك جبريلَ عليه السلام لا يوصَفُ بالإنزال؛ لكونِه كلامًا وليس جسمًا أوْ جرمًا، حتَّى يتحرَّكَ من الأعلى إلى الأسفل، لكنَّه عبَّر عنه بالإنزالِ والتّحرُّك باعتبارِ أنَّ حاملَهُ نازلٌ، أي: لعلاقةِ التّلازُم التّجاوريِّ التّلابُسيّ وُصِفَ بذلك، قال الطّيبيُّ: "فإنْ قلتَ: ذكرتَ في شرحِ الخُطبة أنَّ (الإنزال) عبارةٌ عن تحريكِ الشّيء من الأعلى إلى الأسفل، وهو مختصٌّ بالأجرام؛ فلا يتحقّقُ في (الكلام)، فوُصِفَ بصفةِ حاملِه لالتباسِه به، وهذا المجازُ إنَّما يستقيمُ في إنزالِ جبريلَ عليه السلام القرآنَ على النبيِّ ﷺ"[3].

(1) الطّيبيّ، حاشية على تفسير الكشّاف: 16/ 523.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 199.
(3) الطّيبيّ، حاشية على تفسير الكشّاف: 16/ 523.

دلالةُ الإسنادِ إلى ضَميرِ الجَمْعِ ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾:

تكرارُ الإسناد لنفي شكِّ المُرتاب

أسندَ النّظمُ الكريم فعلَ (الإنزال) إلى ضميرِ المتكلِّم الجمعِ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾؛ تعظيمًا بإسناد إنزالِهِ "إلى جنابِهِ، معَ أنَّ نزولَهُ إنَّما يكونُ بواسطةِ المَلَك - وهو جبريلُ - على طريقةِ القَصْرِ بتقديمِ الفاعلِ المعنويِّ، إلّا أنَّه اكتفى بذِكرِ الأصلِ عن ذكرِ التَّبَع"[1]، وفي إعادةِ ضميرِ المُعظِّم نفسَه يحصلُ التّقوّي في الحُكم والتّأكيدُ، مع قَصْرِ الإنزالِ على الذّات الجليلةِ قَصْرَ إفرادٍ.

دلالة الإسناد المجازيّ في ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾:

إسنادُ الآمِرِ بالإنزالِ لذاتِهِ إظهارٌ لجَلالةِ قَدْرِهِ

أسندَ النّظمُ الكريم فعلَ (الإنزال) إلى ضمير (نا) في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ مرَّتين، مع تأكيدِ الجُملة في الآيةِ الكريمة؛ لإظهار مزيدٍ من التّعظيم والتّفخيم على هذا المُنزَّل، معَ إفادةِ اختصاصِ الإنزالِ بهِ تعالى؛ تَشْريفًا لعَظيمِ قَدْرِ القُرآنِ، وبيانًا لعُلوّ مكانته[2].

سرُّ الإضمارِ قبلَ الذّكر في ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾:

الحضورُ الذِّهنيُّ يُغني عنِ التّقدُّمِ الذِّكريِّ

عبّرَ النّظمُ عن القرآن الكريم بضميرِ الغَيبةِ في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ مع عدَمِ تقدُّمِ ذِكرٍ للقرآن، والأصلُ في الإضمارِ أن يَلِيَ الإظهارَ؛ وذلك للدّلالة على نباهةِ شأنِهِ، وحُضوره الذّهنيِّ المُغني عن تقدُّمِ الذِّكر اللَّفظيِّ، قال الرّازيّ: "جاءَ بضَميرِهِ دونَ اسْمِهِ الظّاهرِ؛ شَهادَةً لَهُ بالنَّباهَةِ والاسْتِغْناءِ عَنِ التَّصْريح"[3]، وهذه النّباهةُ بمَعونةِ المَقام؛ ففي"الإتْيانِ بضَميرِ (القُرْآن) دونَ الاسْمِ الظّاهرِ إيماءٌ إلَى أنَّهُ حاضِرٌ في أذْهانِ المُسْلِمينَ؛ لِشِدَّةِ إقْبالِهِمْ عَلَيْهِ؛ فكَوْنُ الضَّميرِ دونَ سَبْقِ مَعادٍ إيماءً إلَى شُهْرَتِهِ بَيْنَهُمْ"[4].

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 182.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 456، ومجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 10/ 1975.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 228.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 457.

دلالةُ تحديدِ (ماصَدق) ضَميرِ الغَيبة:

أَثَـرُ الكـلّـيَّة والبـعـضيَّة في تحديدِ الصّورةِ المجازيَّة

عبّر النّظمُ الكريم بضميرِ الغَيبة عن القرآنِ الكريم في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾، وهو باعتبارِ (ماصدق) مدلولِهِ يحتملُ أنْ يكونَ المرادُ به كلُّ القرآن، ومعنى ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ هو ابتدأْنا إنزالَهُ؛ لأنَّ الّذي أُنزِل في تلك اللّيلة الآياتُ الخمس الأولى من سورة العلَق، فيكون هنالك تجوُّزٌ في إطلاقِ فعلِ الإنزال وإرادةِ ابتداءِ الإنزال، والأشبهُ أنَّ علاقتَه هي تسميةُ الشّيء باعتبارِ ما يؤولُ إليه، أي: سمَّى الابتداءَ باسم الانتهاءِ والإتمام، وفي ذلك إشارةٌ إلى أنَّ هذا القرآنَ سوفَ يَكْمُلُ إنزالُهُ ويتمُّ. أو بعضُ القرآن: ومعنى (أنزلنا) هو المعنى الحقيقيُّ، ويحتملُ الضّميرُ الحقيقةَ أيضًا باعتبارِ أنَّ بعضَ القرآن قرآنٌ، أوِ التّجوّزَ بتسميةِ الجزءِ باسم الكلّ، فقيلَ: أُطْلِقَ ضَميرُ القُرْآنِ على بَعْضِهِ مَجازًا بعَلاقَةِ البَعْضيَّة، والغرضُ من التّجوّز: بيانُ أنَّ البعض كالكلِّ في القدسيَّةِ والإعجازِ والكَمال.

نُكْتَةُ التّعبيرِ بـ ﴿فِى﴾ والغرضُ منها:

كلُّ أوقاتِ اللّيلة مَـحَـطُّ كـرامـةٍ وعِزَّة

عبّرَ النّظمُ الكريم بالحرفِ ﴿فِى﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾؛ للدّلالة على الظّرفيَّة المفيدةِ تحقُّقَ الإنزالِ في بعض اللّيلة؛ لأنَّ المَظروفَ بعضٌ للظّرف، ولذا لم يقُلِ النّظمُ: (أنزلناهُ ليلةَ القدرِ) وإلّا كان الإنزالُ في جميعِ أجزاءِ اللّيلة، ويتبيّنُ هذا من قولِنا: (صمتُ شهراً أوْ في شَهْرٍ)، والغرضُ من إفادة عدم استغراق جميع أجزاء اللّيلة بالإنزال مع إمكان تحديد الجزء - كأنْ يقول: أوّل ليلة القدر أو أوسطها أو آخرها، ونحوه - هو بيانُ أنَّ كلَّ جزءٍ من أجزاءِ تلك اللّيلة عظيمٌ يستحَقُّ أنْ ينزلَ فيه الذِّكرُ العَظيم.

سرُّ اختيارِ الإنزالِ في (اللّيلِ):

التّعبُّد في اللّيل لـلـنّـجـاةِ مـنَ الوَيل

عبّر النّظمُ الكريمُ بلفظِ ﴿لَيْلَةِ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾؛ للتّنصيصِ على أنَّ ابتداءَ الإنزالِ للقُرآن الكريم

كانَ في اللَّيل دونَ النّهار، وذلك لما في اللَّيل من فضائلِ الاستغفارِ والتّضرُّعِ والخشوعِ، الّذي يَبعثُ إليه سُكونُ اللَّيل وهدوءُهُ ورهبتُهُ، وفيه إشارةٌ إلى ما ينبغي الانشغالُ فيه ليلًا من قراءةٍ للقرآن وتفسيرٍ وفهمٍ وتأويلٍ لمعانيه.

سرُّ التّعبيرِ بلفظِ ﴿ٱلْقَدْرِ﴾ مُعرّفًا بـ(أل):

شـرَفُ الـزّمـن بشَـرَفِ النِّعمةِ والمِنّة

عرّفَ النّظمُ الكريمُ لفظَ ﴿ٱلْقَدْرِ﴾ بـ(أل) في قولِه تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾؛ للدّلالة على الجنسِ والحقيقة[1]، سواءٌ كان القَدْرُ منَ التّقديرِ لجميعِ الأُمورِ فيها من خيرٍ أوْ شرٍّ، أوْ منَ الإقدارِ وهو التّضييقُ، أوْ من القَدْرِ والعَظَمة، وهو الأرجَحُ بالمَقام.

دلالةُ الإضافةِ في ﴿لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾:

التّـشـريـفُ والمَـهـابـة لـما في الـقـرآنِ مِـن مَكانَة

أضافَ النّظمُ الكريمُ لفظَ ﴿لَيْلَةِ﴾ إلى ﴿ٱلْقَدْرِ﴾ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ إضافةً لاميّةً؛ للدّلالة على التّخصيصِ والتّعيينِ لإضافتِها إلى مُعرَّف، والغرضُ من الإضافةِ: التّشريفُ والتّعظيمُ والمَهابة للّيلة الّتي نزلَ فيها القرآن، ولذا يترجّحُ كونُ القَدْرِ بمعنى الشّرف والفضْل. قال ابنُ عاشور: "والقَدْرُ الّذي عُرِّفَتِ اللَّيْلَةُ بالإضافةِ إلَيْهِ هوَ بمَعْنَى: الشَّرَفِ والفَضْلِ، أي: لَيْلَةِ القَدْرِ والشَّرَفِ عِنْدَ اللهِ تَعالَى، مِمّا أعْطاها مِنَ البَرَكَةِ، فتِلْكَ لَيْلَةٌ جَعَلَ اللهُ لَها شَرَفًا، فجَعَلَها مَظْهَرًا لِما سَبَقَ بِهِ عِلْمَهُ، فجَعَلَها مَبْدَأ الوَحْيِ إلَى النَّبيِّ ﷺ"[2].

دلالةُ تحوُّلِ المُرَكَّبِ الإضافيِّ إلى العَلَم:

إضفاءُ الشّرعيَّة عـلى الـدّلالـةِ الإضافيّة

سمَّى النّظمُ الكريم اللَّيلةَ التي ابتُدِئَ فيها بإنزالِ القرآن ﴿لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾؛ تَحويلًا للمُركّبِ الإضافيِّ إلى الدّلالة العَلَميَّة بحيثُ يُفيدُ اللّقبيَّةَ لتلك اللّيلة؛ قصْدًا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 457.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 457.

لإظهارِ مَكانتها، وإضفاءً للشّرعيَّة على دلالتِها الأصليَّة، بحيثُ عندَما يَسمَعُها المسلمُ يَنسابُ إلى ذهنه أنَّها اللَّيلةُ التي أُنزِلَ فيها القرآن، وتتنزّلُ فيها الملائكةُ، فيُتعبَّد ويُتقرَّبُ إلى الله تعالى فيها بالأعمالِ الصّالحات، دون التّفكيرِ بأنَّها ليلةُ العَظمة، ولَمْ تَكُنْ مَعْروفَةً عِنْدَ المُسْلِمينَ، وبِذَلِكَ يَكونُ ذِكْرُها بهَذا الاسْم تَشْويقًا لِمَعْرِفَتِها؛ لأنَّهُ كما قال ابن عاشور: "قَصَدَ جَعْلَ هَذا المُرَكَّبَ بمَنْزِلَةِ العَلَم لِتِلْكَ اللَّيْلَةِ كَـ (العَلَم بالغَلَبَة)؛ لأنَّ تَعْريفَ المُضافِ إلَيْهِ باللّام مَعَ تَعْريفِ المُضافِ بالإضافَةِ، أوْغَلُ في جَعْلِ ذَلِكَ المُرَكَّبِ لَقَبًا؛ لاجْتِماعِ تَعْريفَيْنِ فيهِ"[1].

نُكْتَةُ الوصلِ في ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾:

وصلَ النّظمُ الكريم بحرفِ (الواو) بينَ قولِه تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ وما قبلَه؛ للدّلالةِ إمّا على الرّبطِ والاقترانِ بينَ الإخبارِ بالإنزالِ للقرآنِ العظيم في تلك اللّيلةِ الشّريفة القَدْرِ العَظيمةِ المنزلة، وبينَ الطّلبِ الاستفهاميِّ المُرادِ به التّعظيمُ من شأنِ تلك اللّيلةِ؛ وصولًا إلى تعظيمِ ما أُنزِلَ فيها من آياتِ الذّكرِ الحَكيم، أوْ على الحالِ[2] المقيِّدِ لجُملةِ الإخبارِ بأنَّ الإنزالَ في تلك اللّيلةِ حالَ كونِها مجهولةً جهالةً تفخيميّةً، أوْ على الاعتراضِ بينَ ما قبلَها وما بعدَها[3]، والغرضُ من الاعتراضِ إنشاءُ التّفخيمِ والتّعظيم.

الجمعُ والاقترانُ بينَ الإخبارِ والطّلبِ الدّالَّينِ على عَظَمةِ القُرآن

نُكْتَةُ الاستفهامِ بـ(ما) والغرضُ مِنها:

استفهمَ النّظمُ الكريم باسمِ الاستفهام (ما) عن تمييزِ الأمرِ المجهولِ الّذي يَجعلُكَ داريًا في قولِه تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾؛ للدّلالة بها على طَلَبِ الشَّرح والبيانِ للأمرِ المُبهَم العَجيبِ، الّذي جعلكَ

الاستفهامُ الإنكاريّ للدّلالة على المعنى التّعظيميّ التّفخيميّ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 457.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 458.
(3) المظهريّ، التّفسير المظهريّ: 10/ 315.

داريًا ومتّصفًا بالدِّراية، وكأنَّه لغرابتِهِ وإبهامِهِ صارَ أمرًا مجهولًا يُطلَبُ تفسيرُهُ وشرحُهُ، فهو: "تَنْويهٌ بطَريقِ الإبْهامِ المُرادِ بهِ: أنَّ إدْراكَ كُنْهِها لَيْسَ بالسَّهْلِ؛ لِما يَنْطَوي عَلَيْهِ مِنَ الفَضائِلِ الجَمَّةِ"[1]، لكنَّ الاستفهامَ غيرُ مُرادٍ به حقيقتُهُ، وهو طلبُ الجوابِ عن ذلك الأمرِ المُميّزِ الّذي جعلك داريًا، بلِ الإنكارُ لدرايةِ المُخاطَبِ له أصلًا لشدّةِ غَرابتِهِ، ولذا قالَ الهرريّ: "أي: ولم تبلُغْ درايتُك وعلمُك غايةَ فضلِها ومُنتهى عُلوِّ قَدرِها، وفي هذا إيماءٌ إلى أنَّ شرفَها ممّا لا يُحيط به عِلمُ العُلَماء، وإنّما يعلمُهُ عَلّامُ الغيوبِ الَّذي خلقَ العوالمَ، وأنشأها من العدَمِ"[2]، ويستلزمُ ذلك الإنكارُ للدّرايةِ بطريقِ الكِنايةِ التّفخيمَ والتّعظيم لشأنِ المَسؤولِ عنهُ.

دلالةُ الفعلِ ﴿أَدْرَىٰكَ﴾ مادّةً وصيغةً:

إنكارُ الدّرايةِ لكَمالِ الفَخامَة

عبّرَ النّظمُ الكريم بفعلِ (الدّراية) ماضيًا في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾؛ للدّلالة على تحقُّقِ إنكارِ الدرايةِ في الماضي تحقُّقًا مَقطوعًا به، كما أفادتْ صيغةُ (أفعلَ) التّعديةَ؛ لدلالتِها على الجَعْلِ والصَّيرورة، إذِ الغَرضُ إنكارُ وجودِ أمرٍ جعلَكَ داريًا؛ إذ لا بُدَّ لتحقُّقِ الدّراية مِن سندٍ عقليٍّ أوْ نقليٍّ، وليَدُلَّ بمادّتِه على انتفاءِ الدّرايةِ؛ لغَرابةِ الأمرِ العجيبِ فضلًا عنِ انتفاءِ العِلْم؛ إذ يَلزمُ مِن انتفاءِ الدّراية انتفاءُ العِلْم، قال ابنُ عاشور: "وَكَلِمَةُ (ما أدْراكَ ما كَذا) كَلِمَةٌ تُقالُ في تَفْخيمِ الشَّيْءِ وتَعْظيمِهِ، والمَعْنَى: أيُّ شَيْءٍ يُعَرِّفُكَ ما هيَ لَيْلَةُ القَدْرِ، أيْ: يَعْسُرُ عَلَى شَيْءٍ أنْ يُعَرِّفَكَ مِقْدارَها"[3].

تحديدُ مَرجِعِ ضميرِ المُخاطَب في ﴿أَدْرَىٰكَ﴾:

بينَ الخُصوصِ والعُموم يتحقّقُ التّشويقُ المفهوم

عبَّر النّظمُ الكريم بضميرِ المُخاطَب في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾؛ للدّلالة به إمّا على النّبيِّ ﷺ، فيكونُ استعمالًا حقيقيًّا،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 458.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 189.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 458.

والغرضُ من نفي سببِ الدّراية التّفخيمُ والتّعجيب، معَ التشويقِ لسَماعِ ذلك الأمرِ الغريب، وإمّا على كلِّ مَن يصلحُ أن يكونَ مُخاطَبًا، فيكونَ استعمالًا مجازيًّا لإرادةِ العموم، والغرضُ من نفيِ العموم: بيانُ أنَّ ذلك السّببَ مجهولٌ للجميع؛ لما فيه من فخامةٍ وغَرابة، فيتحقّقُ التّشويقُ لمفهومِ الجوابِ تحقُّقًا كاملًا.

دلالةُ العُدولِ بالاستفهامِ عن ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾:

انتفاءُ الأسباب يستلزمُ انتفاءَ المُسبَّبات

عدلَ النّظمُ الكريم عنِ الاستفهامِ المُباشر عن ليلةِ القدر على نحو (وما ليلة القدر؟) إلى الاستفهامِ عنْ سببِ الدِّراية المتعلِّق بليلةِ القدْرِ في قولِه تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾؛ للدّلالة على انتفاءِ وجودِ سببٍ يجعلُهُ داريًا بليلةِ القدر، وهو ما تتحقَّقُ معه المجهوليّةُ التّامَّة لليلةِ القَدْر.

دلالةُ ﴿مَا﴾ الاستفهاميّةِ في ﴿مَا لَيْلَةُ﴾:

تشويقُ المُخاطَب للإصغاء لئلّا يَغفَلَ عنِ الجواب البنّاء

عبّرَ النّظمُ الكريم بـ﴿مَا﴾ الاستفهاميّةِ ثانيةً في قولِه: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾؛ للدّلالة بها على الاستفهامِ الدّالِّ على التّفخيمِ والتّعظيم من شأنِ تلك اللّيلة، حتّى إنَّ السّؤالَ تكرّرَ مرتينِ تفخيمًا وتعظيمًا لشأنها، وشأنِ تكرُّرِ الاستفهامِ التّعظيميِّ التّشويقُ لسماعِ الجواب، كما يدلُّ بطريقِ الكناية على شرفِ الحَدَثِ الواقعِ في تلك اللَّيلة العظيمة، فيكون تعظيمًا حقيقياً لشأنِ القرآن ونزولِهِ فيها.

نُكْتَةُ وضْعِ الظّاهرِ مَوضِعَ المُضمَر في ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾:

جلائلُ الأحداث تُـذكَـرُ بعينِ الألفاظ

وضعَ النّظمُ الكريم الظّاهرَ مَوضِعَ المُضمَر في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾؛ فلم يُقَل: (ما هي)؛ للدّلالة على التّذكيرِ باسمِها اللّقبيِّ، حتّى يتحوّلَ من دلالتِهِ الإضافيّة الأصليَّة إلى معناهُ العلَميِّ المشيرِ لليلةِ نُزولِ القرآنِ الكريم والملائكةِ، ولقَصْدِ الاهْتِمامَ بتَعْيينِها، فحَصَلَ تَعْظيمُ لَيْلَةِ القَدْرِ صَريحًا،

وحصلت كِنايَةٌ عَنْ تَعْظيمِ ما أُنْزِلَ فيها، وأنَّ اللّه اخْتارَ إنْزالَهُ فيها؛ ليتطابَقَ الشَّرفانِ[1].

نُكْتَةُ التّعبيرِ بالجُملتيْنِ الاسميّتَيْنِ:

ثبوتُ انتفاءِ العِلْمِ لجَلَلِ الحَدَثِ المُهِمّ

استفهمَ النّظمُ الكريم بالجملتيْنِ الاسميّتَيْنِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾؛ للدّلالة على انتفاءِ الدِّراية على سبيلِ الثّبوتِ والدّوام في جميعِ أزمنةِ الماضي، حتَّى يأتيَ الإعلامُ الإلهيُّ بذلك العِلْمِ بشأنِها وفخامتِها وجلالِها.

نُكْتَةُ التّعبير بـ﴿مَا﴾ في ﴿مَا لَيْلَةُ﴾:

مَعلوميَّةُ الحقيقةِ، لكنَّها مَجهوليّةُ الفَضيلة

عبّرَ النّظمُ الكريم بـ﴿مَا﴾ الاستفهاميَّة في قولِهِ: ﴿مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾؛ للدّلالة على الاستفهامِ التّعجيبيِّ عن تلك اللَّيلة، لكنَّ (ماصدقَ) الاستفهامِ بها كانَ عن مقدارِ فضلِها وشَرَفِها، وليس عن حقيقتِها وماهيّتِها، ولذا قالَ الهرريُّ: "أي: ما مقدارُ شرفِها؟ وليسَ المراد: ما حقيقتُها؟ فإنَّها مدّةٌ مخصوصةٌ منَ الزَّمان"[2]، فالاستفهامُ للإنكارِ العلْميِّ الوُقوعيِّ بفَضْلِها وشَرَفِها كميَّةً ومِقدارًا.

نُكتةُ الفصلِ في ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾:

بيانُ الخيريَّةِ لتحديدِ الأفضليَّة

فصلَ النّظمُ الكريم قولَهُ تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لكونِهِ أوّلَ بيانٍ وجوابٍ عن السّؤالِ التّعجيبيِّ المتقدِّم في قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾، فهي إمّا اسْتِئْنافٌ بَيانيٌّ جوابًا عن سُؤالٍ موجّهٍ منَ المَسؤولِ المُنكَرِ عِلْمُهُ، المَطلوبِ بيانُهُ: فما هو فضلُها وشَرَفُها؟ فأجابَ بذلك، أوْ لأنَّها كَعَطْفِ البيانِ[3].

نُكتةُ التّعبير بالجملة الاسميّة:

نزولُ القرآنِ في اللَّيلةِ المُباركة دالٌّ على مكانتِهِ الباهِرة

عبّرَ النّظمُ الكريم بالجملةِ الاسميَّة في قولِهِ تعالى: ﴿لَيْلَةُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 458.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 184.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 459.

ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾؛ للدّلالة على الثّبوتِ والدَّوام للخيريَّة على سائرِ اللّيالي والشُّهورِ والأعوام، وهي بمثابةِ الحُجّة على فضلِ القرآنِ وخيريّتِهِ على سائرِ الكتب؛ إذ لم يعمَدِ النّظمُ إلى توكيدِها مع توكيدِهِ لنزولِ القرآنِ فيها؛ لأنَّ فضلَها وخيريّتَها غيرُ مُنكَرَين، بخِلافِ إنزالِهِ فيها، وفي ذلك إشارةٌ إلى أنَّه إنْ كانت ليلةُ نزولِ القرآن خيرًا من ألفِ شهرٍ، فيكونُ القرآن خيرًا من ألفِ كتابٍ.

دلالةُ تكرارِ ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾:

جاء تكرارُ اسم ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ للمرّةِ الثّالثةِ في قولِهِ تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾؛ للدّلالة بمَعونة المقامِ على شرَفِ المَذكور، حتّى إنّه لا يُضمَرُ عندَ الحديثِ عنه، والعملِ على غرس مفهومِهِ اللّقبيِّ الشَّرعيِّ، والتّذكيرِ بجلالةِ القَدْرِ وعظيمِ المَنزلة لتلك اللَّيلة التي تشرّفتْ من بينِ سائرِ اللَّيالي بنزولِ القرآنِ العظيم والذّكرِ الحَكيم؛ ليكونَ نِبراسًا للمُهتدين. قال الهرري: "والإطنابُ بذكرِ (لَيْلَةِ القَدْرِ) ثلاثَ مرّات زيادةً في الاعتناءِ بشأنها، وتفخيمًا لأمرِها"[1].

القرآنُ العظيم نبراسٌ للمُهتدين

دلالةُ تشابُهِ الأطرافِ في ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾:

عبّرَ النّظمُ الكريم بالمُحَسِّن البديعيِّ المُسمَّى (تشابُهَ الأطراف) - "وَهوَ إعادَةُ لفْظِ القافيَةِ في الجُمْلَةِ الَّتي تَليها"[2] - والغرضُ من ذلك التّحسينِ اللّفظيِّ، وأنَّ ذلك اللّفظ المُكرّرَ يَتلذّذُ المتكلِّمُ بذكرِهِ؛ ليَستشعِرَ حلاوتَهُ، ويَعيشَ في أجوائِهِ.

استذاقةُ الحَلاوةِ للالتذاذِ بالطَّلاوة

جهةُ الأفضليَّة في اسمِ التفضيلِ ﴿خَيْرٌ﴾:

عبَّر النّظم الكريمُ باسم التّفضيل ﴿خَيْرٌ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾؛ للدّلالة على أفضليَّة ليلة القدرِ من حيثُ

الخيريّةُ في الزَّمان وصفيّةٌ لا ذاتيّةٌ

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 199.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 460.

ما تتضمّنُه من الأعمالِ الصّالحة، والبَركةِ على ألفِ شهرٍ بما تتضمّنُهُ من أعمالٍ طيّبةٍ وبركةٍ، وتلك رحمةٌ إلهيَّةٌ ومِنحةٌ ربّانية للأُمَّة الأحمديَّة، قال ابنُ عاشور: "وَتَفْضيلُها بالخَيْرِ عَلَى ﴿أَلْفِ شَهْرٍ﴾ إنَّما هوَ بتَضْعيفِ فضْلِ ما يَحْصُلُ فيها؛ لِأنَّ تَفاضُلَ الأيّام لا يَكونُ بمَقاديرِ أزْمِنَتِها، ولا بما يَحْدُثُ فيها مِنْ حَرٍّ أوْ بَرْد، إنَّما يُقاسُ بما يَحْصُلُ فيها؛ لِأنَّها ظُروفٌ لِلْأعْمالِ ولَيْسَتْ لَها صِفاتٌ ذاتيَّةٌ يُمْكِنُ أنْ تَتَفاضَلَ بها، ففَضْلُها بما أعَدَّهُ اللّه لَها مِنَ التَّفْضيلِ، كَتَفْضيلِ ثُلُثِ اللَّيْلِ الأخيرِ لِلْقُرُباتِ"[1].

دلالةُ ﴿مِّنْ﴾ والغَرضُ منها:

الـخـيريّـةُ لها بدايةٌ، وليستْ لها نِهاية

عبّرَ النّظمُ الكريم بالحرفِ ﴿مِّنْ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾؛ للدّلالة على ابتداءِ الغايةِ؛ وفائدةُ استعمالِها في أُسلوبِ التّفضيلِ المُرادِ به الكثرةُ والزّيادةُ، المبالغةُ في الفَضْل، بحيثُ يكونُ له مبدأٌ ولا يُحدّدُ له مُنتهى، وذلك متناسبٌ مع تفضيلِ هذه اللّيلة على ما عداها، بأنَّ فضْلَها له مبدأٌ ولا مُنتهَى له.

نُكتةُ التّعبيرِ بالعددِ المفضَّلِ عليهِ ﴿أَلْفِ﴾:

إرادةُ التّكثير أرجَحُ في مَقامِ التّفضيل

عبّرَ النّظمُ الكريم عن المُفضَّل عليهِ بلفظ الألف في ﴿أَلْفِ شَهْرٍ﴾؛ للدّلالةِ به إمّا على العددِ المَعروف على سبيلِ التّحديد الدّقيق، وهي ثلاثٌ وثمانونَ سنةً وأربعةُ أشهُرٍ، وهي دلالةٌ مرجوحةٌ؛ لعدمِ مُساعدةِ معونةِ المقامِ التّفضيليّ عليها، وإمّا على مُطلَقِ التّكثير[2]، الصّادق بالألفِ فما فوقَها، "وَعَدَدُ الألْفِ يَظْهَرُ أنَّهُ مُسْتَعْمَلٌ في وفْرَةِ التّكثير؛ كَقَوْلِه: (واحِد كَأَلْفٍ)، وعليهِ جاءَ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البَقَرَة: 96]"[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 459.
(2) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 10/ 585، والهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 189.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 459.

سرُّ تخصيص تمييز العدد بلفظ ﴿شَهْرٍ﴾:

عبَّر النّظمُ الكريم عن تمييزِ عددِ الألْفِ بلفظِ ﴿شَهْرٍ﴾، دونَ غيره في قولِهِ تعالى: ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾؛ للدّلالة على أنَّ ليلة القدرِ إنّما تكونُ في شهرٍ مُباركٍ نزلَ فيه القرآنُ، وهو (شهرُ رمضانَ)، فيكون اختيارُ ﴿شَهْرٍ﴾ مُناسبًا لوقوعِ ليلةِ القَدْرِ في ذلك الشَّهر دونَ لفظِ (السّنة أوِ اللَّيلة).

أعـظَـمُ شهـورِ الـعـامِ شَـهْـرُ القيام

نُكْتَةُ تكرارِ التّعبير بـ(ليلة القدر):

نلمحُ في تكرارِ (ليلةِ القدر) ثلاثَ مرّات في الآي تناسُبًا مع (الشّهر) المُنقسم إلى ثلاثِ عشراتٍ في رمضانَ؛ إذ أوّلُه رحمةٌ، وأوسطُهُ مغفرةٌ، وآخرُهُ عتقٌ من النار، وليلةُ القدر هي في العشرِ الأخير منه، ولذا جاءَ الجوابُ في التّكرارِ الثّالثِ مُفصِحًا عنها، ومُبيّنًا لفضلِها بقوله: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾.

الـتّـنـاسُـب مع (الشّهر) المُنقسمِ إلى ثلاثِ عشراتٍ في رمضانَ

دلالة الخبر بـ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ﴾:

أخبَرَ النّظمُ الكريم في جوابِ الاستفهامِ الإنكاريّ التّعظيميّ بالخبرِ الواردِ في قولِهِ تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾؛ للدّلالة على أنَّ هذه اللّيلةَ غيرُ منقطعةٍ، وأنَّها تتكرّرُ في كلِّ عام؛ إذِ الإخبارُ بأنَّها ليلةٌ مباركةٌ، وخيرٌ من ألف شهر، من أجلِ العمل على مراقبتِها ومُتابعتها، ويدلُّ على ذلك أيضاً إيقاعُها في جوابِ الإبهامِ التّعظيميّ، حتّى تعظُمَ في نفوس المُسلمين، وتترسّخَ في وُجدانهم بأنَّها اللّيلةُ المُباركةُ المُتجدِّدة.

ليلةٌ لا تَنقطِعُ بَرَكتُها، ويَستمِرُّ بقاؤُها

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

القَدَرُ والتّقديرُ:

يُستَعْمَلُ (التّقديرَ) في أفعال اللّه تعالى وأفعالِ العِباد، ولا يستَعْمل (القَدَرُ) إلّا في أفعال اللّه ﷻ، وقد يكون التَّقْديرُ حسَنًا وقبيحًا، كتقديرِ المُنجِّم موتَ زيدٍ وافتقارَهُ واستغناءَهُ، ولا يكون القَدَرُ إلّا حسَنًا[1].

الـقَـدَرُ أخـصُّ مُـطـلـقًـا مـنَ التّقدير

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة: 1/ 191.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والستون،
من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والستون، من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 68 ، 828 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-655-42-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 68 : المجلد الثامن والستون، من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-655-42-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7916426 بتاريخ 2026/01/07م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"